سمير عبيد*

«عندما تتكلم مع الرئيس شيراك تحسه فارسا عربيا أصيلا»
الملك عبد الله بن عبد العزيز

بشار الأسد ليس صدام وشعبية شيراك العربية دليل على ودّ لبلاده:

في ضـرورة مـؤازرة فـرنسـا للمـوقـف السـوري

لا نختلف عندما نتكلم عن الاستعمار، فهو استدمار قبل أن يكون استعمارا، ولا فرق بين الاستعمار الانكليزي والفرنسي والهولندي والايطالي وغيره، فجميع أنواع الاستعمار جاءت كي تنهب وتستغل الشعوب والثروات وهذه بديهية أثبتتها التاريخ، كما ان أغلب هذه النماذج كانت تتنافس فيما بينها من ناحية التوسع والنفوذ، وكانت الضحية هي الشعوب والدول المستضعفة، ومنها منطقتنا العربية، ولكن هناك فروقا بين استعمار وآخر، من ناحية الممارسة ومساحة الحرية الممنوحة في بعض المجالات، فنجزم ان الاستعمار الفرنسي كان الأفضل حيث سمح لشعوب الدول والمناطق التي احتلها في منطقتنا بممارسة حيز من الثقافة والتعليم والتواصل وتعلّم المهن، خصوصا لو نظرنا الى مصر ولبنان وسورية، وهنا نتكلم عن حقبة قديمة كان الاستعمار والتوسع سماتها، ولكن عندما جاءت الحروب الكونية التي أفرزت الدول والحدود اختلف الأمر كثيرا، حيث أصبحت لتلك الدول والشعوب هوية تعتز بها ،علما ان الذين جلسوا وخطوا حدود الدول تعمدوا زراعة الألغام والفتائل الجاهزة عن قصد كي يستفيدوا منها في المستقبل، فتكونت الدول والدويلات من خلال التوزيع الذي جاء بعد (سايكس بيكو)، والذي دفعت ثمنه وما زالت الشعوب العربية بالدماء والأرواح والثروات، وهنا نتكلم عن المنطقة العربية عامة ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص، ورغم ذلك بقي التواصل العاطفي بين شعوب تلك الدول ومستعمرها القديم، فترى الشعب العراقي يتجه عاطفيا صوب لندن، والشعب السوري واللبناني والجزائري والتونسي والمغربي يتجه نحو باريس وهكذا، وهذا جيد لو بُني التواصل على الاحترام ونسيان الغطرسة القديمة، ولقد بُنيت وفي مواقع كثيرة ومن خلال هذا النهج الجيد العلاقات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، ولكن بنفس الوقت بقيت عقول انكليزية وفرنسية وايطالية وغيرها تفكر بطريقة المستعمر المتعالي والطامع ، بل أنشأت تلك العقول أخيرا مراكز بحوث ومعاهد دراسات تنظّر للعودة الى مناطق النفوذ القديمة، وتحت حجة محاربة التيارات الاسلامية المتطرفة، وما يسمى بالارهاب، ومحاربة الفقر والأمية، والدفاع عن حقوق المرأة، ومن أجل نشر الديمقراطية والحرية، وكلها شعارات براقة توحي بالمساعدة والتعاضد ولكن النيّة عكس ذلك، حيث جعلتها الدول الكبرى مداخل لشعوبنا ودولنا.

وحتى لو حاججنا هؤلاء الذين أصبحوا في مركز القرار السياسي والعسكري، والذين يريدون العودة الى مناطقنا بحجة تحرير شعوبنا من الحكّام الرجعيين حسب زعمهم، والذين وجدوا من يدعم رؤاهم وأفكارهم وحنينهم للماضي وهي الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل، فبربكم من الذي دعم هؤلاء ولعقود طويلة أي الحكام العرب، ومن هو الذي شجع قمع هؤلاء وأنظمتهم ضد شعوبهم، ألم تكونوا أنتم ودولكم، فبأي حق تريدون من الشعوب العربية تحمّل مسؤولية التخلص من هؤلاء، وعلى طريقتكم تحت شعار (الفوضى الخلاقة)، فكيف يكون الضحية المتهالك جنديا للدفاع عن مدير السجّان؟ لذا حتما ان هذا المدير يريد تبديل السجّان بسجّان آخر أو بسجانين جُدد وضمن سيناريوهات جديدة ورتوش ومساحيق وقتية اسمها الحرية والديمقراطية والتعددية، فهل هناك انسان في الكون يرفض التجديد، ويرفض القفز نحو الأفضل لا نعتقد هناك من يرفض ذلك، ولكن المشكلة في المصداقية، فالقضية تشبه عملية الضحك على عائلة كي تخرج من بيتها بحجة ترميمه وإعادته لها ، ولكن حال خروجها يُفجّر البيت وتبنى مكانه عمارة، وتُنسى العائلة الأصلية حيث تترُك فريسة للفقر والضياع والقمامة.

لذا فالشعوب العربية لديها مثل عتيق سارت عليه منذ مئات السنين وهو (الشين اللي تعرفه أفضل من الزين اللي ما تعرفه) وهي ليست دعوة للتشبث بهؤلاء الحكام الذين يتحملون مسؤولية ما يحصل، والذين تتفاوت عندهم الفجوات بينهم وبين شعوبهم، ولكننا من دعاة حث الحكام العرب على الانفتاح نحو الشعوب، وحثهم على اعطاء الحريات العامة، وهي حقوق طبيعية للناس، وليست هبة أو منيّة عليهم، وكذلك الحث على فتح المجال نحو المشاركة السياسية، والسماح للمعارضة الوطنية والسياسية بالعمل، وهو أفضل وأنجع من التهديد والقرارات الدولية والحصار والتدخل الأجنبي والحروب التي تدمر البلدان والشعوب.

فالعناد على طريقة صدام وعلى الطريقة البدوية القديمة يُسبب المأساةَ على الحاكم وأهله وحاشيته، وكذلك يسبب المأساة على الشعب والأجيال، لذا لابد من النظر الى الدرس العراقي، وهنا لا نريد من الحكام العرب تسليم مفاتيح دولهم وثروات شعوبهم وانبطاحهم أمام المخطط الأجنبي والدول الكبرى، بل نريد من الحاكم قراءة الواقع بدقة، ومن خلال المستشارين الفطاحل، والابتعاد عن المستشارين المتكرشين والمتكلسين، وكذلك الابتعاد عن المستشارين من ذوي القربى، ومن ثم العمل بديناميكية عقلانية وشفافة من خلال اللجوء الى الانفتاح والاصلاح الطوعي وبالطريقة الوطنية، كي تُسحب الأبسطة من تحت أقدام الذين يريدون أخطاء الحاكم العربي سين وصاد حجة للتدخل والاحتلال.

أما مسألة الشعوب العربية والمراهنة عليها من قبل الذين يتشبثون بآرائهم، فهي مقامرة محفوفة بالمخاطر، حيث راهن عليها صدام حسين وخسر، أي راهن على أصوات المسلمين والمناصرين في أندونيسيا والمغرب العربي والدول العربية الأخرى، وراهن على الأصدقاء في العالم وحتى راهن على الشارع الامريكي، ولكن باءت حساباته بالفشل، مع احترامنا للشعوب العربية والجديرة بالمراهنة، ولكنها أي الشعوب العربية وضعت في سجون دولها، ووضعت في قفص حدود جغرافيتها، فالأمر لم يعد كالخمسينات من القرن المنصرم حيث عندما يتكلم جمال عبد الناصر يهيج الشارع العربي من المحيط للخليج، ومن هنا قال وزير الخارجية الامريكي السابق كولن باول قبيل الحرب على العراق (لقد سقط الديناصور الذي يهددونا به ويرعبوننا به وهو الشارع العربي) كونه عرف ان الحكام الموالين الى الولايات المتحدة ساهرون على حماية الحدود وبأوامر امريكية من أجل سجن وقتل أي مواطن تحمله الحميّة لنجدة أخيه العربي والمسلم في بلد آخر أو في منطقة أخرى، ولكن لو فكر هذا الحاكم (السجّان) قليلا لعرف انه على قائمة التغيير بفرق التوقيت، أي عبارة عن عصا بصلاحية حُدّدت مدتها سلفا من قبل الولايات المتحدة ومن معها وتحت مبدأ نظرية (يوم أُكل الثور الأبيض).

الرئيس شيراك وسياسة التسرّع

لا نعتقد ان هناك انسانا مدركا بشكل عام، وعربيا ومسلما مدركا بشكل خاص، ويعرف معنى الحرية، لم يشعر بالخوف على مبادئ الثورة الفرنسية العملاقة التي غيرت التاريخ السياسي والانساني في العالم، فمن منا لم يفتخر بمبادئ الثورة الفرنسية، ومن منا لم يتبن أفكارها ولو على المستوى الشخصي، ومن منا لا تلامس أحلامه مبادئ الثورة الفرنسية التي أصبحت تراثا انسانيا يخص جميع أخيار وشرفاء العالم، لذا ليس من حق أي انسان مهما كبر حجمه ومركزه العبث بتلك المبادئ الجميلة والرائعة، والتي أكملت مبادئ كثيرة من الأديان السماوية من الناحية الانسانية، وأحترام الانسان والشعوب والأوطان، وليس من حق أي سياسي فرنسي العبث أو المساومة على مبادئ الثورة الفرنسية، لأنه بذلك يعتدي على مشاعر ملايين الناس وفي أرجاء المعمورة، وهنا لا نريد مجاملة الرئيس شيراك أو غيره، بل نناشد الرئيس الفرنسي الذي عرفناه محبا للسلام، ومحترما للأديان والشعوب وتاريخها، وعرفناه صديقا وفيا للعرب، ومناصرا لقضاياهم المصيرية، والذي يُرمى بالورود عندما يزور الشوارع العربية وغير العربية، وعلى عكس الرئيس الامريكي الذي رُمي ويُرمى بالبندورة والبيض وغلق الشوارع في وجهه، وخير دليل ما شاهدناه في شوارع الجزائر عندما زار الرئيس شيراك الجزائر قبل أكثر من عام تقريبا حيث فوجيء هو نفسه، وفوجيء الشعب الفرنسي والعالم، بذلك الترحيب المليوني والعفوي، وبتلك الزغاريد والورود، وتوقعنا أن تكون فرنسا وبعد تلك الهتافات التي خرجت من حناجر الملايين في الجزائر المناصر رقم واحد لقضايانا العربية، وتكون فرنسا والرئيس شيراك المدافع عن شعوبنا وقضايانا العربية.

وعلى نفس السياق نتذكر كلمات الرئيس (شيراك) التوبيخية الى السلطات الاسرائيلية عندما زار فلسطين المحتلة قبل أعوام قليلة، حيث وبخ الأجهزة الأمنية وأمام عدسات الكاميرات لأنها حاولت منعه من الكلام، وحاولت دفع العرب الفلسطينيين عن موكبه وشخصه، فمن هنا بدأ الخطر على فرنسا وعلى الرئيس شيراك، ومن قبل دول أخرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة التي تريد المنطقة وشعوب المنطقة من حصتها، ولا يعجبها هذا الالتفاف العفوي حول الرئيس شيراك وفرنسا، فحاولت امريكا جر فرنسا نحو الحرب في العراق، ولكن فرنسا رفضت وشجعت المانيا على ذلك، ونالت احترام الشعوب العربية والاسلامية كافة، وفي مقدمتها الشعب العراقي.

ولقد نالت احترام الشعوب الاسلامية من قبل أيضا يوم كسرت فرنسا ومن خلال شركات النفط (توتال) الحصار على ايران ودخلت وعملت في ايران، لهذا نحن ومعنا الملايين من الشعوب العربية والاسلامية نعيش الصدمة التي أصبحت لا تفارقنا من المواقف الفرنسية الأخيرة والمتصاعدة نحو منطقتنا وعلى الطريقة الامريكية، حيث أصبحت باريس تقلد لندن، وهذا ناقوس خطر حقيقي على فرنسا ومبادئ الثورة الفرنسية، وناقوس خطر على الصداقة الطيبة بين الشعوب العربية والاسلامية والشعب الفرنسي، فباريس جميلة وقبلة للحضارة بنظر العرب والمسلمين، فلا نريد خدش رومانسيتها، وخدش شوارعها من ردات فعل قد تحصل هنا وهناك نتيجة السياسات الفرنسية، ولا نريد بل لا نتمنى أن تكون باريس كالعاصمة لندن تقودها واشنطن نحو العزلة ونحو مربع البلطجة والهيمنة التي جعلت المواطن الانكليزي في خطر وفي توجس دائم، وجعلت سمعة الولايات المتحدة الامريكية في الحضيض بحيث انتشرت الكراهية صوب امريكا من الدول العربية نحو الدول الغربية وهذا خطر يفوق الصواريخ حيث المواطن الغربي يكره امريكا.

فان كانت القضية سياسية داخلية، فنرجو أن تُحل في هذا الاطار الداخلي، ولا تسمح فرنسا بتدخل قوى دولية تزيد في المشاكل الداخلية الفرنسية، أما اذا كانت القضية تصب في خانة الاستقواء، أي الرئيس الفرنسي يستقوي على خصومه، وفي مقدمتهم وزير الداخلية (ساركوزي) بالولايات المتحدة والرئيس بوش، ويستقوي بالمقابل وزير الداخلية على الرئيس بتهييج الجاليات الاسلامية واصدار قانون مكافحة الارهاب، فهي حسابات خاطئة تؤذي الداخل الفرنسي وتجعله على كف عفريت، وهذا ما تريده واشنطن، حيث تريد فرنسا المستنفرة، وتريد للمواطن الفرنسي الاستنفار على طريقة المواطن الامريكي وعلى حساب راحته وحياته، وهي طريقة لتهديم مبادئ الثورة الفرنسية.

وكذلك تؤذي المصالح الفرنسية في الدول العربية والاسلامية، لذا نرجو من الرئيس شيراك اعادة النظر في خطواته المتسرعة، والتي لا نتمناها له شخصيا، وكذلك لا نتمناها الى فرنسا الحرة، لأن الشعب الفرنسي يهمنا جدا، حيث بين شعوبنا وبينه علاقات ممتازة، وبين دولنا وفرنسا علاقات ممتازة هي الأخرى، فبسلاح الحب الموجود تجاه الرئيس شيراك وتجاه فرنسا في الشارع (السوري) بشكل خاص، وفي الشارع العربي بشكل عام، يتمكن الرئيس شيراك من فعل المستحيل ولمصلحة الشعوب العربية والشعب الفرنسي بحيث تكون الثمار في سلة القوى الخيرة في العالم، ويتمكن أي الرئيس شيراك من حجز كرسي مجاور للرئيس السوري (بشار الأسد) ليشارك في عملية الاصلاح في سورية، ونعتقد ان الرئيس السوري يكن لشيراك تقديرا منقطع النظير، وهو تواق جدا للعمل مع الفرنسيين.

ونحن على يقين ان فرنسا تعرف تماما ان الرئيس السوري بشار الأسد وسورية بريئة من مقتل المرحوم الحريري، والذي هو بالأصل مواطن سوري من مدينة (بصرى) السورية، فمن مصلحة سورية الوصول الى قتلة الحريري كي تبرىء نفسها، لذا فالرئيس شيراك مطالب بأخذ يدها نحو بر الأمان، وليس لي يدها وعنقها وخنقها كما نراه في بعض المواقف، فهذا لا يتلاءم مع المبادئ الفرنسية، ولا يتلاءم مع خطوات الرئيس شيراك الذي عرفناه عاقلا ومتزنا.

لهذا نستطيع أن نهمس باذن الرئيس الفرنسي ـ برافو ـ عندما قال كلامه في 2006/1/10 الذي نصه (أدعو الأسرة الدولية الى العمل على حل النزاعات التي تهدد السلام والأمن وتغذي الارهاب) وهذا هو المنطق السليم، وكان يعني الرئيس شيراك حلها بالحوار وليس بالحرب التي تريدها امريكا، والتي أزّمت العالم تماما وجعلته عالما مرعبا، وقال ذلك عندما التقى أعضاء السلك الدبلوماسي لمناسبة تبادل التهنئة بأعياد رأس السنة، ودعى سورية الى قلب المجتمع الدولي عندما قال (ان عودة سورية الى قلب المجتمع الدولي يتوقف على تغيير تصرفاتها) وهنا لم يوضح الرئيس شيراك ما هو التصرف الذي يريد من سورية الابتعاد عنه، فهل التشبث بالثوابت والدفاع عن الدولة السورية وعدم الرضوخ للأكاذيب يعتبر تصرفا شائنا بنظر الرئيس شيراك، وهل التذكير السوري ببنود الأمم المتحدة التي تحمي الرؤساء وتعطيهم الحصانة من المسائلة المسيسة يعتبر أصلا تصرفا شائنا؟... فلا نتمنى للرئيس شيراك المنطق المزدوج والكيل بمكيالين لأنها لا تتلاءم مع تاريخه الشخصي، ولا مع المواقف الفرنسية.

نحن على يقين ان الرئيس شيراك قادر على فعل شيء يزيد من شعبيته عربيا واسلاميا، وذلك من خلال جعل النقاط على الحروف، وفي الموضوع المهم حيث ليس من مصلحة سورية أغتيال الحريري اطلاقا، بل هناك جهات استفادت وتستفيد يوميا من مقتل الحريري، ونذكّر الرئيس شيراك بكذبة أسلحة الدمار العراقية، فاتهام سورية بمقتل الحريري يدخل في نفس سلسلة أكاذيب أسلحة الدمار الشامل العراقية، لذا لا نتمنى أن يكون الرئيس شيراك وفرنسا في هذا الموقف المحرج والذي يخدم مخططات الولايات المتحدة واسرائيل، فعلى الرئيس شيراك الانتباه من المخططات الامريكية التي تريد تخريب العلاقات الفرنسية العربية، وتريد جر فرنسا نحو مخططها تجاه سورية ولبنان.

من ناحية أخرى فالرئيس بشار ليس صدام حسين، وأخطاء النظام السوري ليست كأخطاء النظام العراقي، والنظام في سورية ليس نظام صدام بل هناك فرق كبير، وان فرصة الاصلاح والانفتاح متوفرة عند الجانب السوري وعند الرئيس بشار، خصوصا وهناك معارضة سورية في الداخل لا تريد الحرب، ولا تريد التدخل الدولي، ومقتنعه بالرئيس بشار الأسد ومختلفه مع أطراف معينة في النظام، فبالمساعدة الفرنسية الصادقة وبقيادة شيراك قادرة سورية والرئيس بشار من ترتيب البيت السوري نحو الانفتاح والاصلاح والصعود نحو التعاون مع جميع دول العالم.

فالعداء الفرنسي لسورية لا يخدم المصالح الفرنسية اطلاقا، وكذلك لا يخدم المصالح اللبنانية المترابطة مع المصالح السورية جغرافيا واجتماعيا وسياسيا ولوجستيا، وان العداء الفرنسي لسورية يخدم المخطط الامريكي في المنطقة لذا فرنسا قادرة أن تكون زعيمه للعالم الحر والحقيقي من خلال مشاركتها بالاصلاح عن قرب، ونبذها للحروب والحجج التي تؤدي للحروب من أجل الحروب والفوضى فقط، وكذلك ليس من مصلحة النظام في سورية الابتعاد عن الجبهة الداخلية والمعارضة الوطنية، وليس من مصلحته بقاء الأمور على حالها بل يجب حلحلتها من أجل مستقبل سورية والشعب والنظام، وهذا لا يحدث الا بخطوات جريئة من قبل الرئيس بشار الأسد، وهو بحاجة لمؤازرة فرنسية صادقة ودولية معروفة الحدود ناهيك عن المساندة العربية في هكذا خطوات.

* كاتب ومحلل سياسي عراقي

الملف النووي الإيراني: ما الذي يجري في العراق؟

غسان المفلح*

■ في كل مرة يعود فيها الملف الإيراني نوويا إلى واجهة الحدث الدولي والإقليمي نتساءل مباشرة متى سيعود هذا الملف إلى خزائن الهيئة الدولية للطاقة كجزء من أرشيفها الذي لم يعد يحوي سوى أوراق ملفين نووين الكوري والإيراني وإذا كان الملف الكوري قد حمته الصين من خلال إخراجه من أروقة مجلس الأمن سواء تلميحا أو تصريحا ، وأبقته في عهدة اللجنة السداسية ، فإن الملف الإيراني ينتظر لجنة خماسية أو سداسية أو ثنائية أمريكية إيرانية !! كي يبتعد شبحه عن مجلس الأمن نهائيا وإلى غير رجعة ، ومن يعطل هذا هم الإيرانيون أنفسهم فهم لايريدون أن تقوم روسيا بمقاومة به الصين في الملف الكوري. إيران تدرك أكثر من غيرها أن هذا الملف ليس له حظا في النجاح حتى لو أدى هذا الأمر أن يتدخل الحلف الأطلسي عسكريا لمنع إيران من إنتاج سلاح نووي ودون الرجوع لمجلس الأمن !!

والسؤال الذي يبقى مطروحا: هل إيران الملالي تريد سلاحا نوويا من أجل مواجهة الدول النووية الكبرى أم من أجل أجندتها الإقليمية حصرا ؟

أظن أن تثبيت الأجندة الإيرانية أقليميا بشكل عام وعراقيا بشكل خاص كفيلة بأن تجعل هذا الملف يتحول إلى أرشيف في فيينا وإلى خردة وبقايا منشآت في إيران. سلطة الملالي في إيران تعتقد استراتيجيا أنها تواجه نفوذا أمريكيا في المنطقة ونفوذا إسرائيليا متزايدا !! وتدرك أيضا أن مواجهة هذا النفوذ لايتم دون حدوث هيمنة أقليمية إيرانية في الخليج في لبنان وفي العراق الكنز المرصود !! ولايتم عبر بناء سلاحا نوويا هو محتجز سلفا في قرارات مجلس الأمن والوكالة الدولية للطاقة.

وبعيدا عن هذا الخطاب الجهنمي للرئيس نجاد حيال إسرائيل التي لايريد وصولها إلى العراق لاعبر العرب ولا عبر الأكراد ، ليس لأن هذا الوصول يشكل خطرا على إيران بل أيضا لأنه يشكل حدا لنفوذ إيران الفعلي والمرتجى مستقبلا في المنطقة وللأسف من يحد من تطور النفوذ الإيراني هم الأمريكان والإسرائيلين !! وليس العرب أو الدول الأقليمية الأخرى !!

أمريكا من خلال تواجدها العسكري والسياسي المباشر وإسرائيل من خلال وجودها في المنطقة كدولة لها مصالحها الاستراتيجية من جهة وتسعى دوما لعدم امتلاك أية قوة إقليمية لسلاح نووي مهما كانت !! بينما لايمكن الحديث بنفس الطريقة عن الدول العربية التي لايوجد لديها أجندة مصالح استراتيجية لدولها بل أجندة تضيق بمصالح سلطاتها فقط !

وهذا ينطبق جزئيا على سلطة الملالي في إيران كسلطة مؤسساتية ـ شئنا ذلك أم أبينا ـ بالمعنى النسبي للعبارة ، هذه المؤسساتية هي التي تغيب عن لوحة السلط العربية ، لأن المؤسساتية هي التي ترسم استراتيجيات الدول وليس أشخاصا رؤساء أو ملوكا أم عائلات.

وبالعودة إلى الزوبعة الأخيرة ورفع الأختام عن ثلاث من المنشآت الإيرانية من قبل سلطة نجاد كي يتم العمل على تخصيب اليورانيوم لأجل الغايات السلمية كما صرح بذلك الرئيس نجاد في كلمته الأخيرة ، وكما صرح أحد أعمدة النظام الإيراني الرئيس السابق رفسنجاني من أن من حق إيران امتلاك تكنولوجيا نووية لأغراض سلمية ، وسيندم من يفكر بمعاقبة إيران.

العراق أولا:

أن تصر إيران على امتلاك تكنولوجيا نووية أمر مهم جدا بالنسبة لها وتتمنى حدوث ذلك سواء لأغراض عسكرية أو مدنية ، لكن المشكلة ليست هنا لأن إيران تدرك أن الملف النووي هو ضمن أجندة متكاملة سياسية بالدرجة الأولى إقليميا ودوليا. ومن ضمن هذه الأجندة هو تزايد وتثبيت النفوذ الإيراني في العراق مستبقة أي إجراء أمريكي أو دولي أوحتى عراقي ضد تثبيت هذا النفوذ الإيراني ، وتأتي قضية حزب الله والتحالف مع سوريا في نفس الأجندة الإيرانية. بات لإيران الآن ركائز قوية في العراق ولايمكن تجاوزها أبدا في رسم مصير هذا البلد وتلك كانت خطيئة أمريكية ودولية بامتياز ولايمكن تجاوزها بفتح الملف النووي الإيراني والذي هو في النهاية لن يكون سوى خردة وأرشيف على الطريقة الليبية والعراقية سابقا.

وعلى المجتمع الدولي أن يصلح غلطته في العراق ويساعد من أجل قيام عراق ديمقراطي علماني حقيقي ، لأن الفائزين الآن في الانتخابات العراقية في الجنوب خصوصا والعراق عموما غالبيتهم هم من الذين يقفون الآن في المنطقة الوسطى بين المشروع الأمريكي والمشروع الإيراني.. لكن الانتخابات القادمة في حال استمر وضع العراق على ما هو عليه:

ستكون النتائج مذهلة لصالح التيار الإيراني داخل قوائم الأئتلاف في العراق..!!رؤية القيادات الشابة الآن في الجنوب وأعضاء المجالس المحلية يعطي مؤشرا ليس قليلا على هذا الأمر..

وليس الكلام عن قيام قاعدة سنية في سورية لمواجهة قاعدة شيعية عراقية إيرانية يأتي من باب الدعابة بل من باب الخوف الإيراني.. وهي عبارة عن فزاعة ليس إلا كي تتوطن إيران في العراق وسوريا ولبنان ـ رغم أن الشيخ نعيم قاسم مساعد الأمين العام لحزب الله كان قد صرح أكثر من مرة ردا على تيار المستقبل وحركة 14 آذار بأنه ضد أي تدخل أجنبي في الشؤون اللبنانية !!! وبذلك لا خوف بعدها على سلطة الملالي من أي تغيير مدني ديمقراطي داخلي.. والذي هو الخوف الحقيقي لهذه الأجندة الإيرانية..

* كاتب من سورية

تنبيه الغافلين من الإخوان والآخرين

عادل الحامدي*

■ عندما تكون مؤسسة الأمن الداخلي في منأى عن الصراع الحزبي فإن المواطن يهرع إلى هذه الأم الرؤوم كلما حز به أمر. ولست مبالغا في ذلك فالمواطن الغربي الذي أتقاسم معه رغيف الحياة لا يثق في أمه ولا في أبيه بل يثق إلا في الدولة، بينما يثق المواطن العربي في كل شيء باستثناء الدولة لسبب بسيط وهو أن السلطة في هذه البلدان التي يمثلها الشرطي هي السلطة التي تهيمن على الجميع بدون استثناء. وقد رأيت بأم عيني نائب رئيس الوزراء البريطاني ومواطنا في الساحة العامة يتلاكمان ثم يأوي كل منهما إلى بيته آمنا تحت أعين الشرطة وتحت حمايتها. فأجهزة الأمن هي ملك للجميع وهي من أدوات الدولة التي تحمي بها أمنها وأمن مواطنيها ولا يسمح لها بالتسلط على أي حزب ولا على أية هيئة ولا على أي فرد وهي حيادية بصرامة القانون وصرامة الدستور وصرامة الواقع، يستوي عندها الشيوعي والإسلامي والليبرالي القديم والجديد.

وإذا قدر لك أن تكون مواطنا في هذه البلدان وقررت أن تقوم بواجبك الإنتخابي فتأكد أنك لن تجد حول الصندوق رجل أمن واحد، ولكن ستجد أمثالك ممن ينتمون إلى أحزاب أخرى يقومون جميعا بواجبهم الإنتخابي والجميع يبتسم. وهنا لا بد من التعريج على أن مشكلتنا الثقافية تكمن في أن مخيالنا الجمعي يرى في رجل الأمن رمز الدولة بينما هو حارس يحرس أمن الجميع. ولقد رأيتني سكرانا من هول ما رأيت بين الناخب الإخواني والشرطي المتصدي لهذا الناخب يتبادلان حجارة الانتفاضة والرصاص المطاطي والحي على مرأى ومسمع من الإعلام العالمي كله.

لم تعدم المنطقة العربية أمثلة متناثرة على طرائق حقن المصل الإخواني في شرايين السياسة العربية المصابة بالتصلب المزمن لعل أقدمها التجربة الكويتية المبكرة وسبق هذا البلد الصغير إلى دمقرطة الحياة السياسية متحدية بذلك محيطا سياسيا عائما في دياجير الماضي يحسب معظمه باطلا على إسلام هذه الأمة ـ يبدو كما لو أنه لم يعرف محمدا صلى الله عليه وسلم ولا سقراط ولا حتى عفلق ذلك المفكر المستنير، لكن «الإخوان» في البرلمان الكويتي تقوقعوا على أنفسهم وعضوا بالنواجذ على الخوض في «سياسة الفروج» كأن لم تكن الكويت وأموال الكويت مسخرين لخدمة قضايا العرب والمسلمين متناسين الدور الريادي لبرلمان كويت ما قبل الغزو فأدركهم الفناء السياسي المحتوم مكفنين في عباءة من الجمود الفكري الإخواني وعمومياته يوم تمرد على كل من الخرافة ومشاعية أربعينات القرن الماضي، فلما أسقطهما ظل (هذا الفكر) مربوطا إلى آخيته لا يكاد يخوض إلا فيما هو معلوم ـ حتى للقطط ـ من الدين بالضرورة.

أما ملكيتنا الدستورية في مغرب العرب والعجم وكدت أقول العلوج لولا أن الصحاف رحمه الله حيا وميتا كان يومها يخوض حربا باطلة أريد بها حق أباحت له السباب..

قلت إن يسار المملكة الوطني الذي وثق به ملك البلاد بدا بعد التجريب والتمحيص كما لو أن إيمانه بالتعددية لا يساوي عند الله ولا عند الناس جناح بعوضة، إذ لم تكد تمر أشهر معدودات على تفجيرات الدار البيضاء حتى انتكس الإسلام السياسي المطلوب رأسه على الدوام فلم نعد نسمع لأهل دياره حسيسا ولا ركزا، كما لم نعد نقرأ لشعراء أهل الدار في البرلمان المغربي ولو معلقة أو حتى مرثية إبداع تنعى إلينا مصير الديمقراطية الفتية رغم أنني لا أعول كثيرا في أحكامي على التفسير التآمري للأحداث ولا للتاريخ حياء من الشرط واستحياء من إلياسين والجابري والمنجرة! إذا، من للإخوان قبسا يستلهمون منه نارا كاشفة لصرف المال العام المصري وضمان حق تقرير المصير للشعب المصري عبر صناديق الاقتراع؟

عندما يزور واشنطن مسؤول عربي يلقى حسن الضيافة وجميل الترحاب من مضيفيه الأمريكان تماما كالأوروبيين ومن عداهم. لكن ثمة بونا شاسعا بين من يلقى الثناء لأنه يسمع ويطيع وبلا أدنى نقاش حول ما يستر عورة هذا السياسي أمام شعبه وبين من يلقى ما يليق بمن يمثل شعبه المكافح الحر والمبدع والذي انتصر على الجوع الداخلي وعلى القهر الداخلي والحيف الداخلي، فهو قوي يحس أنه شريك للولايات في المغنم والمكره والمصير. فعلى الإخوان أن يعوا جيدا أن يوم الزينة الانتخابي يوم أن حشر خمسة ملايين من المصريين أماناتهم في صناديق الامتحان ليس إلا تعبيرا عن الجوع إلى قيم الجمال من عدل وإنصاف وإحسان وحاجة أشد إلى قيم الجلال من إدارة محايدة وشرطة أشد حيادا ودوائر محاسبات في كل «حتة» تسهر بالليل والنهار على كيفية صرف المال العام، ووزارات سيادة ومؤسسات دستورية تليق بتمثيل سبعين مليون مطلوب منهم جميعا وبكل إلحاح إنجاز العبور الديمقراطي المنشود وضمان الخير المصري المفقود.

وللدكتور عصام العريان الناطق باسم الإخوان المسلمين في مصر الذي عرت لنا القنوات الفضائية العربية والغربية بعض أفكاره أقول له بتواضع المتعلم ولكن المكتوي بل الملتاع من الواقع العربي اللازمني، أقول له إن آخر ما أريد أن أسمعه منك ومن الإخوان ما أسمعه منذ عقود من أن الإسلام هو الحل، فهذه المقولة تشبه لا إله إلا الله تماما لا يمكن أن تكون محل خلاف حتى بين المسلمين وكثير من المنتسبين إلى الأديان الأخرى ولكن الذي نخاف ونخشى هو ما تعنيه، لا أقول مثل من يجحد نعمة ربه عن أي إسلام تتحدث فتلك مقولة فاجرة، ولكن أقول هات لنا برنامجك السياسي والإقتصادي ونحن معشر المصريين أقباطا ويسارا وأمواجا من المسلمين سوف نقبل بكم وبأطروحاتكم. وأهمس في أذن الناطق باسم الإخوان أن تجربة حزب الرفاه التركي الذي انتقل إلى حزب العدالة والتنمية هي تجربة تقطر إسلاما استطاعت بالأمانة وحدها أن تطعم أفواه الجياع وتعيد نسبة الدين الخارجي في ظرف ثلاث سنوات من 91 بالمئة إلى 63 بالمئة، دون ترديد شعارات يحتاج مطلقها إلى تفسيرها ليس لخصومه من السياسيين بل لقواعده من العوام والمثقفين.

أما رأيي للكتاب والسياسيين من المصريين والعرب والغربيين الذين يخشون من المشاريع الشمولية المنفلتة للإخوان وبعبع الإسلام السياسي الذي يتزيا أصحابه بالدين لأغراضهم الشخصية والحادبين على مصالح وحقوق الأقباط المصريين فإن المطلوب منهم جميعا الاحتكام لقيم المواطنة وتغليب حسن الظن وإفساح المجال للتجربة الديمقراطية الواعدة في مصر كي تشرق على العالم العربي قبل أن تعم الفوضى ويصول المحتل ويجول في كل شبر من أراضينا الملتهبة.

ومع أن صاحبي ـ فرج الله كربه ومد في عمره ـ يحمد الله إذ أنعم عليه فأخرجه من بلاد العرب وجاء به إلى أوروبا العلوج!!! حيث الغرب الذي أنعم الله عليه بحكومات غلب خيرها شرها، ويقسم أن أدناها أقرب إلى الإسلام وإلى روح الإسلام وإلى شرائع الإسلام من أغلب الحكومات العربية.. مع ذلك أهمس في أذنيه ولكل الذين اكتووا بالاستبداد وهفت أرواحهم إلى أن تشرق شمس يوم على أوطانهم وهم أحرار، أقول أهمس في أذني صاحبي بأن الحرية والديمقراطية المرجوتان اختطفتا في زحمة المعاناة الشديدة وأن أس البلاء المتمثل في السلطة لم يحسم بعد حتى مع الديمقراطيين الجدد ولو كان بعضهم من الإخوان...

* كاتب وإعلامي تونسي يقيم في بريطانيا

الترشيد الأمريكي لتداعيات الانتخابات العراقية

كاظم محمد*

■ كان لأهتمام الادارة الامريكية البالغ بالانتخابات العراقية الاخيرة، مبرراته الموضوعية والذاتية والمرتبطة بمجمل المشروع الامريكي ومستقبله في العراق والمنطقة، وتعاظمت هذه الاهمية بعد تركيز الاحتلال عليها كونها مخرج طبيعي ومبرر لاستمرار التواجد العسكري الاجنبي في العراق، ومن ناحية اخرى تم ربط نجاحها بخطة بوش للنصر في العراق والتي حدد عناصرها، بعد ان اقر واعترف باخطاء كبيرة، واعلن تحمله لمسؤولية تلك الاخطاء.

جاءت هذه الانتخابات (كأستحقاق قانوني) حسب ما شرعه المحتل واعوانه، كي تكون هي المحطة الاخيرة والتتويجية لمسيرة عمليتهم السياسية المعدة سلفا لانتاج برلمان دائم وحكومة دائمة تمتلك كامل الصلاحيات الدستورية وتتعكز على شرعية وسيادة مقننتين ومعلبتين تعليبا امريكيا كاملا كما اريد لها منذ البدء.

لكن ما ميز هذه المحطة السياسية، هي المشاركة لبعض الاطراف المغيبة (السنية)، لتتكحل عيون ادارة الاحتلال، بانها حققت مساهمة كل مكونات الشعب العراقي في العملية السياسية، وبذلك تسجل لنفسها انتصارا في محاولة لتخفيف احتقانها الداخلي، ومتأملةً بدفع عجلة مشروعها خطوةً الى امام.

كان واضحا ومنذ بداية الغزو الامريكي للعراق، ما هو المطلوب لعراق ما بعد الاحتلال، لقد صرح غارنر اول حاكم مدني عينته الادارة الامريكية (بضرورة بناء المجتمعات المدنية الذاتية)، وهو اول اعلان سياسي لادارة الاحتلال بالبدء بعملية تفكيك العراق وتفصيصه، ولاجل الوصول الى هذه الغاية بدأت دوائر الاحتلال واجهزتها بالضرب على الوتر الطائفي والعرقي، حيث عبرت عنه سياسيا بقرار بريمر بتشكيل مجلس الحكم على اساس المحاصصة الطائفية والعرقية، وبتعميق هذا التوجه في جميع مفاصل الحياة السياسية والاجتماعية، وبالتناغم مع المصالح الفئوية والحزبية والعنصرية لقيادات وجماعات واحزاب وعناصر سوقية مغمورة، خدمت المحتل وتعاونت معه لتحقيق اهدافه السياسية، ولتبني لنفسها اماراتها ودويلاتها الخاصة، ولتبدأ برسم الحدود الطائفية والعرقية ولتعمق الشرخ الاجتماعي وتضرب روح الانتماء الوطني، ولتكرس التخندق العرقي والمناطقي والمذهبي، عبر خطاب سياسي مهدت له دوائر الاحتلال السياسية والعسكرية والسرية من عصابات الجريمة السياسية ومافيات القت